

اللسانيات في التطور اللغوي

نوفيتارحي

مدرسة اللغة العربية بمعهد جوري سيو والعثلي الإسلامي الحكومي مترو

ملخص الكآبة

اللغة كائن حي، لأنها تحتاج على ألسنة المتكلمين بها، وهم من الأحياء، وهي لذلك تتطور وتغير بفعل الزمن، كما يتطور الكائن الحي ويتغير وهي تخضع لما يخضع له الكائن الحي في نشأته ونموه وتطوره، وهي ظاهرة إجتماعية، تحيا في أحضان المجتمع، وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده، وسلوك أفرادها، كما أنها تتطور هذا المجتمع، قترقي برقيه وتنحط بانحطاطه. وليست اللغة من صنع فرد أو أفراد، وإنما هي نتيجة للحياة في مجتمع يجد أفرادها أنفسهم مضطرين على اتخاذ وسيلة معينة للتفاهم وهي اللغة. والتطور اللغوي تشمل على القوانين الصوتية التي فيها التغييرات التاريخية والتركيبية للأصوات، وقانون السهولة والتيسير، وأثر النظام المقطعي، والقياس.

الكلمات الرئيسية: اللسانيات، التطور اللغوي.

أ- المقدمة

تنوزع اللغة مجموعة من الأنظمة، التي تبدأ بالنظام الصوتي، صوامته وصوائته، وفونيمته، ومقاطعته، وما يسود فيه من ظواهر النبر والتنغيم وغيرهما، وتمر بالكلمات من حيث بناءها، ومورفيماتاها، ودلالاتها على المعاني المختلفة، في أذهان الجماعة اللغوية التي تستخدمها، وتنتهي بناء الجملة، ووظيفة الكلمات في داخل الجمل، وعلاقة بعضها ببعض، غير ذلك.

وليست عناصر اللغة كلها على سواء، في سرعة قبول التطور، إذ هناك فرق في تطور اللغتين الصوتيات والصرف والمفردات، فالنظام الصوتي يستقر منذ الطفولة ويستمر طول الحياة، فالإنسان يحتفظ حتى آخر حياته، بمجموعة الحركات التي تعودت عليها أعضاؤه الصوتية، منذ طفولته.

ب- البحث

مهم هنا أن «التطور اللغوي» لا يحدث على نحو مشتم غير مطرد، بل يحدث وقفًا لقواعد ثابتة، يمكن أن نصوغها في صورة قوانين دقيقة، عدا تناول اللغة ما في عصرين متتابعين من تاريخ تطورها. وفيما يلي نعرض لطائفة هذه القوانين بالشرح والتمثيل:

١- القوانين الصوتية

القوانين الصوتية تعبر عن "علاقة بين متتابعين لغة واحد، في وسط اجتماعي معين"،^١ فهي ليست قوانين عامة شبيهة بقوانين علم الطبيعة أو الكيمياء ولهذا السبب نجد تطوراً صوتياً في إحدي اللهجات، ولا نجد له أثر في لهجة أخرى.

وقد لاحظ العلماء، أن التطور الصوتي يتصف بعده خصائص، أهمها:

- أ) - أنه غير شعور، بمعنى أنه تلقائي غير متعمد، ولا دخل فيه للإرادة الإنسانية
 - ب) - أنه غير فردي، وهذا عكس الاعتقاد القديم بأن جميع الظواهر الاجتماعية فردية المنشأ وتصبح اجتماعية عن طريق التقليد.^٢
 - ج) - أنه ليس ببطيء وتدرج، فتطور الأصوات لا يحدث فجأة بين يوم وليلة، وإنما يظهر أثره بعد أجيال، ولذلك فإن النظام الصوتي بعيد كل البعد أي يكون ثابتاً، طوال تطور اللغة من اللغات.^٣
 - د) - أنه محمود بمكان معين، فعظم ظواهر التطور الصوتي يقتصر أثرها على بيئة معينة ولا نكاد نعثّر على تطور صوتي لمحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة، فتحول صوت القاف مثلاً إلى همزة، لم يظهر إلا في بعض المناطق التي تتكلم العربية.^٤
- أما التغيرات في القوانين الصوتية هما التاريخية والتركيب:

^١ علم اللسان، لأنطوان ميه ٤٦٧

^٢ علم اللغة، لعل عبد الواحد وفي ٥٣

^٣ اللغة القندريس ٦٤

^٤ علم اللغة، لعل عبد الواحد وفي ٢٦١

أ) - التغيرات التاريخية

التغيرات التاريخية التي من التحول في النظام الصوتي للغة، بحيث يصير الصوتي اللغوي، في جميع سياقه صوتاً آخر .

مثل :

- تطور الياء المهموسة (p) في اللغة السامية الأم، إلى «فاء» في اللغة السامية الجنوبية، وهي العربية والجنسية، قد بقي الأصل .
- خلا له إلى أحد عنصورية المكونين له في اللهجات العربية الحديثة، إذ ينطق كالدال في صعيد مصر، قترى أهالي مدينة «جرجا» مثلاً، يسمون مدينتهم: «دردا» كما يقولون: «دمل» و «داموسة» في: «جعل» و «جاموسة» .

ب) - التركيبية

هي التي تصيب الأصوات، من جهة الصلات التي تربط هذه الأصوات بعضها ببعض في كلمة واحدة، وأهم قوانين التغيرات التركيبية للأصوات، قانونان هما :

١) - قانون المماثلة (Assimilation)

ويعرف «دانيال جوتز» D.Gones المماثلة بأنه عملية استبدال صوت بصوت آخر، تحت تأثير صوت ثالث قريب منه، في الكلمة أو في الجملة. ° في أنواع التأثير الناتجة عن قانون المماثلة، فإن أثر الصوت الأول في الثاني، فالتأثير (مقبل)، وأن حدث العكس فالتأثير (مدبر)، وإن حدثت مماثلة تامة بين الصوتين فالتأثير (كلي)، وإن كانت المماثلة في بعض خصائص الصوت فالتأثير (جزئي).
وفيما يلي نضرب الأمثلة لكل نوع من أنواع التأثير السابقة، يعني التأثير المقبل الكلي في حالة الاتصال، من أمثلة مايلي :

⁵ D. Gone, An Outline, 217

(أ) - تتأثر تاء الأفعال دائماً بالذال أو بالطاء قبلها، فتقلب دالا أو طاء، مثل : إدراك 'أدرك، ادتهن 'أدهن، اطلب 'أطلب، اطلع 'أطلع، اطررد 'أطررد.

(ب) - تتأثر تاء الأفعال غالباً بالذال أو بالصاد أو بالصاد قبلها فتقلب ذالا أو صاداً، مثل : اذتك 'أذكرك، اضمجج 'أضجع، اصبر 'أصبر.

(ج) - تتأثر الواو والساکة بالكسرة القصيرة قبلها، فتحول إلى كسرة مماثلة، وتندمج الحركة المؤثرة في كسرة طويلة، مثل : موزان 'ميزان، مواعد 'ميعاد.^٦ والتأثير المقبل الكلي في حالة الانفصال، من أمثلة مايلي :

(أ) - تتأثر حركة الضم في الضمير النصب والجر غالباً المفرد المذكور (هـ) والجمع المذكور (هم)، بما قبلها من كسرة طويلة أو قصيرة أو ياء، فتقلب الضمة كسرة، مثل : برجلة 'برجله.

(ب) - روي أبو بكر الزبيدي أن عوام الأندلس في القرآن الرابع الهجري، كانوا يقولون : خيزران وسيكران، وهو بنت تدوم حضورته في القيظ^٧ بدلاً من : خيزران وسيكران.

والتأثير المقبل الجزئي في حالة الاتصال، من أمثلة مايلي :

(أ) - تتأثر تاء الأفعال بالصاد أو بالصاد أو بالراء قبلها فتقلب طاء في الحالتين الأوليين، ودالا في الحالة الثانية، مثل : اصتبخ 'اصطبغ، ازتجر 'ازدجر.

(ب) - تتأثر تاء الإفعال بالجيم، غذا كانت فاء للفعل، فتقلب دالا في بعض اللهجات القديمة، مثل : اجتمع 'اجدمع، اجتر 'اجدر.

^٦ انظر : المنصف ٢ / ٣٢٠ والمقتضب ١ / ١٤٩٢ / ٢١١

^٧ لحن العوام للزبيدي ١٢٤٤٥٤.

- (ج) - تتأثير التاء بالأصوات المجهورة قبلها، فتقلب ذالا في بعض اللهجات القديمة، مثل: يجشو > يجذو، تلعثم > تلعذم.
- (د) - تتأثير تاء الفاعل بلا ما الفاعل، إذا كانت صوتا مفخما، فتقلب التاء طاء في بعض اللهجات القديمة، مثل: فخصط بدلا من فخصت.
- (هـ) - تتأثير الزاء المجهورة بالشين المهموسة قبلها، فتقلب إلى تظهيرها المهموسة وهو السين، مثل: نشر > نسش.
- والتأثير المقبل الجزئي في حالة الانفصال، من أمثلة مايلي:
- (أ) - تتأثير السين المهموسة بالراء المجهورة قبلها، فتقلب على تظهيرها المجهور وهو الزاي في كلمة: مهراس، التي صارت: مهراز.
- (ب) - تتأثير الذال بالقاف، فتقلب على تظهيرها المفخم وهو الظاء، في بعض اللهجات القديمة، مثل: وقيد وقيظ، الظاء بدلا من الذال.
- (ج) - تتأثير الدال بالراء قبلها، فتقلب إلى تظهيرها المفخم، وهو الضاد لأن الراء صوت ذو قيمة تفخيمية، مثل: معربد > معربض.^٨
- والتأثير المدبر الكلي في حالة الاتصال، من أمثلة مايلي:
- (أ) - في مضارع صيغتي: تفعل وتفاعل، تتأثير التاء بعد تسكينها للتخفيف بفاء الفعل إذا كانت صوتا من أصوات الصغير أو الأسنان، ثم قيست على ذلك صيغة الفعل الماضي، مثل: يتذكر > يذكرك، يذكر > اذكر.
- (ب) - تتأثير النون في: إن وأن ومن وعن، بالميم واللام التي تليها، فتقلب ميمًا أو لامًا، مثل: أمّا وألّا ومّمّا وعمّمّا.
- (ج) - تتأثير الراء في بعض قراءات القرآن، باللام بعدها، في مثل قوله تعالى: يغفر لكم، فتقلب لامًا.

^٨ لحن العوام للزبيدي ٢٩٦

- والتأثير المدبر الكالي في حالة الانفصال، من امثلة مايلي :
- (أ) - تطورت كسرة الميم على فتحة في صيغتي اسم الآلة : مفعّل ونفعلة .
- (ب) - صيغة (فعيّل) تحوّل في نطق بني تميم باطراد، إلى (فعيّل)، مثل : لنيم، نهيق .
- (ج) - نطق السودانيين لكلمة : منبر، بنبر .
- والتأثير المدبر الجزئي في حالة الاتصال، كن امثلة مايلي :
- (أ) - في اللهجات العربية القديمة، تحوّل الصاد قبل الدال إلى زاي، مثل : يزدق في يصدق .
- (ب) - تتأثير النون الساكنة بالباء التالية لها، فتقلب على صوت من مخرج الباء وهو صوت الميم، اذ هوشفوي كالباء يسمى بالإقلاب، مثل : من بعد ما جاء هم، عليم بذات الصدور، ممبر في منبر .
- والتأثير الزاي صوت مجهور، بالحاء التالية لها، وهي صوت مهموس، فقلبت الزاي إلى نظرها المهموس وهو السين، مثل : يسحف بدلا من يزحف .
- والتأثير المدبر الجزئي في حالة الانفصال، من امثلة مايلي :
- (أ) - الصاد قبل الراء تقلب زايًا، مثل : زراط في صراط
- (ب) - روي ابن هشام اللخمي ان الناس كانوا في الأندلس والغرب يقولون في : سرداب، زرداب .
- (ج) - الناس في مصر وبعض البلاد العربية، يطلقون علي : السعتر، زعتر.^٩
- وتأثير المتبادل هناك نوع آخر من المماثلة الصوتية، يتم فيها التماثل على مراحل، ويتراوح بين التأثير المقبل الجزئي، والمدبر الكلي في حالة الاتصال . ومن أمثلة ذلك:

^٩ انظر : تهذيب الألفاظ العامية للشيخ الدسوقي ٦٦

(أ) - تؤثر الدال من: «ذخر» في تاء الافتعال من هذه الفعل «اذخر»، فتقلبها دالا: «اذذر»، وهما من نوع التأثير المقبل الجزئي في حالة الاتصال. تؤثر الدال في الدال، فتقلبها دالا «اذر» وهذا من نوع التأثير والمدبر الكلي في حالة الاتصال.

(ب) - الدال من: «ذكر» في تاء الافتعال من هذه الفعل: اذكر» فتقلبها دالا: اذذكر»، وهذا من نوع التأثير المقبل الجزئي في حالة الاتصال. تؤثر الدال في الدال، فتقلبها دالا «اكر» وهذا من نوع التأثير والمدبر الكلي في حال الاتصال.

٢ - تبادل التأثير بين الحركات والصوامت

فيما يلي عرض لبعض أمثلة هذين النوعين من المماثلة:

(أ) - اللامثلة بتأثير الحركة على الصامت

- (١) - النوع أثر الحركات الأمامية، كالكسرة الخالصة، والكسرة الهمالة، على أصوات أقصى الحنك، كالقاف، والجيم، والكاف، فالقاف مثلاً: تتأثير في نطق أهل مدينة «الرياض» القدايمي، بالكسرة التالية لها، فتقلب صوتاً مزدوجاً من مقدمة الفم، مكوناً من الدال والزاي (Dz)، في مثل: «دزيلة» في «قبلة»،
- (٢) - النوع أثر الحركات على الأصوات المعروفة في العبرية والآرامية بأصوات: «بجد كيت»، اذ تتأثر هذه الأصوات بآية حركة تتقدم عليها مباشرة، وتقع معها في مقطع واحد.

(ب) - المماثلة بتأثير الصامت على الحركة

المعروف في اشتقاق المضارع من الماضي، أن تختلف حركة عين الفعل في المضارع عنها في الماضي، مثلاً: ضرب يضرب، نصر ينصر. تصنف هذا الأصل على ثلاثة أقسام:

- (١) - الأصل أجود من الصورة تتجت بفعل قانون المماثلة، كقلب الصادسينا، بسبب المماثلة بينهما وبين الحروف المستعلية، مثلاً: «صقت» و «صبقت» و «صاطع» في: «سقت» و «سبقت» و «ساطع»^{١٠}.
- (٢) - الأصل مستعمل على ما فيه من عنت ومشقة، وذلك كبدال النون ميما قبل الباء، مثل: عنبر، شنباء، منبر، التي تتحول بالمماثلة إلى: عمبر، شمباء، ممبر.
- (٣) - الأصل لم يتكلم به عربي البتة، وذلك كبدال التاء الافتعال طاء، إذا كانت الفاء صاداً وضاداً وطاءً وطاءً، مثل: لصطبر، اضطرب، واطرد، واططم.

٣- قانون المخالفة (Dissimilation)

هي يعتمد إلى صوتين متماثلين تماماً في كلمة من الكلمات، فيغير أحدهما إلى صوت آخر، مثال المخالفة بين السامية: شمس «شمس»، كما في الأكادية والعبرية الآرية، والمعروف لدى علماء الساميات أن الشين في السامية الأم، قبلت في العربية «سينا»، وهذا من التغيرات التاريخية التي سبق أن تحدثنا عنها من قبل، ومقتضي ذلك أن تصير الكلمة في العربية: «سمس»، غير أن المخالفة بين السنين، ادت إلى قلب الأولى شينا. ومثال في العربية: «قيراط» بدلاً من «قراط» بدليل الجمع «قراريط»، «دنانير»، و «املل» و «املى».

٤- قانون السهولة والتيسير

تميل اللغة في تطورها، نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الأصوات العيسيرة، وتستبدل بها أسوات أخرى، لا تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً، كما أنها تحاول أن تتفادى تلك التفرعات المعقدة، والأنظمة المختلفة للظاهرة الواحدة. وعلى هذا يهيب كثير من علماء اللغة، من أمثال «هويتي» whitney الذي يرى أن كل ما نكشفه من تطور اللغة، ليس إلا أمثلة، لنزعة اللغات إلى الكلمات، التي لا يضر الاستغناء عنها بداليتها^{١١}.

^{١٠} مخصص ١٣ / ٢٧٢ - ٢٧٣

^{١١} انظر: Whitney, lie and Growth of Language, ٤٨، ونظر كذلك اللغة والتطور الدكتور عبد الرحمن

وسقوط الهمزة في غير أول الكلمة، هوشائع في اللهجات العربية الحديثة، وكان هو المميز للهجة قريش في الجاهلية، غير أن هذا التسهيل امتد إلى الهمزة في أول الكلمة كذلك، في كثير من الكلمات في العاميات الحديثة، مثل: «باط» في «أباط»، «ذان» في «آذان»، «سنان»، «سبوع» في «اسبوع».

وكل الأطفال الصغار يقولون: «جمزة» في «جمزة». وقد سمعت طفلاً يقول: «فشارة» في «فراشة»، وطفله تطلق على «المسمار» كلمة «ممسار»، وبائع فواكه كان يتحدث في برنامج: «مجلة التليفزيون» فيقول «فناويس».

أثر النظام المقطع هوكية من الأصوات، تحتوى على حركة واحدة، ويمكن الابتدائية بها والوقوف عليها، من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففي اللغة العربية مثلاً، لا يجوز الابتداء بحركة، يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة.

ويعرفه كائنيتو، فيقول: «إن الفترة الفاصلة بين عمليتين، من عمليات غلق جهاز التصويت، سواء كان الغلق كاملاً أم جزئياً - هي التي تمثل المقطع». وأنواع المقاطع العربية خمسة:

(أ) مقطع قصير مفتوح، هو ما تكون من صوت صامت وحركة قصيرة مثل: (ك)

(ب) مقطع طويل مفتوح، هو ما تكون من صوت صامت وحركة طويلة، مثل: (في)

(ت) مقطع طويل مغلق حركة قصيرة، هو ما تكون من صوتين صامتين بينهما حركة قصيرة، مثل: (من)

(ث) مقطع طويل مغلق حركة طويلة، مثل: (باب) في الواقع

(ج) مقطع زائد في الطول، هو ما بدأ بصوت صامت وتلاه حركة قصيرة، ثم صوتان صامتان متواليان، مثل: (بنت) في الوقف

٥ - القياس (Analogie)

والقياس يتوقف الى حد ما على قانون الاقتصاد في المجهود (أي قانون السهولة والتيسير)، الذي يجنب إثنان الذاكرة يمتاع غير مفيد، والصيغ التي يقصدها القياس، صيغ عليقة، بمعنى أنها غير مضمونة من الذاكرة، لندرة استعمالها، والقياس لا يستطيع التغلب، إلا عند ضعف الذاكرة، فالصيغة الشادة النادرة الاستعمال، تنسى وتصاغ من جديد، تبعا للقاعدة المطرودة.

وقد ثبت من تتبع حياة اللغات « ان الاختلاف في حياة اللسان، أقدم من الاتفاق في أكثر الحالات »، وهنل يأتي القياس اللغوي، ليلغي هذه الاختلافات، ويقيس بعض الأمثلة على بعض، فتتوحد الظاهرة عن هذا الطريق. مثلا: فالأصل في لاجر هو الفتح، والأصل في باء الجر هو الكسر، بدليل الاحتفاظ به في العربية، عند الاتصال بالضمائر، في مثل: « له » و « به »، امكسر اللام في مثل: « للرجل » و « للناس » في العربية، فإن سببه هو القياس على باء الجر.

وفي كتب لحن العامة أمثلة أخرى كثيرة، لأثر القياس في تطور الصيغ والدلالات، فن كتب الجمانة في ازالة الرطانة، نعرف أن الناس في القرن التاسع الهجري، كانوا يشددون ياء التصغير في مثل: « جميل » و « كليب »، وسبب ذلك هو القياس على ما ثلثة حرف مد، مثل: « غليم » في « غلام ». كما أثر القياس كذلك في جمع: « وصيف » على « وصفان »، فقد قيس الوصف على الاسم، مثل: « رغيف » و « رغفان »، لأن الأصل أن يجمع « فعيل » على « فعلان » إن كان اسما وعلى « فعلاء » إن كان صفة، مثل: كريد وكرماء.

ج - الخلاصة

ان التطور اللغوي يحدث وقفا لقواعد ثابتة، يمكن أن نصوغها في صورة قوانين دقيقة، ونعرض لطائفة هذه القوانين بالشرح والتمثيل القوانين الصوتية تعبر عن علاقة بين متبايعين لغة واحد، في وسط اجتماعي معين^{١٢}، تبادل التأثير بين الحركات والصوامت، وأيضا قانون المخالفة هي يعتمد الى صوتين متماثلين تماما في كلمة من الكلمات، فيغير احدهما الى صوت آخر، مثال المخالفة بين السامية: شمس > شمش، كما في الأكادية والعبرية الآرية، والمعروف لدى علماء الساميات ان الشين في السامية الأم،

^{١٢} علم اللسان، لأنطوان ميبه ٤٦٧

قبلت في العربية "سينا"، وهذا من التغيرات التاريخية التي سبق أن تحدثنا عنها من قبل، ومقتضي ذلك أن تصير الكلمة في العربية: "سمس"، غير أن المخالفة بين السنين، أدت إلى قلب الأولى شينا. ومثال في العربية: "قيراط" بدلا من "قراط" بدليل الجمع "قرايط"، دنانير، و"املل" و"املى". والقياس يتوفق إلى حد ما على قانون الاقتصاد في المهمود (أي قانون السهولة والتيسير)، الذي يجنب إثقان الذاكرة يمتاع غير مفيد، والصيغ التي يقصدها القياس، صيغ علية، بمعنى أنها غير مضمونة من الذاكرة، لندرة استعمالها، والقياس لا يستطيع التغلب، إلا عند ضعف الذاكرة، فالصيغة الشادة النادرة الاستعمال، تنسى وتضاعف من جديد، تبعا للقاعدة المطرودة.

المراجع

عبد العزيز بن إبراهيم، النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٩٩

طعيمة، رشدي أحمد. تعليم العربية لغير الناطقين بها، جامعة المنصورة، مصر، ١٩٨٩

صيني، محمد إسماعيل، إسحاق محمد الأمين، التقابل اللغوي وتحليل الأخطاء جامعة ملك السعود، المملكة العربية السعودية. ١٩٨٢

وافي، علي عبد الواحد. علم اللغة، دار نهضة، القاهرة، دون السنة

تمام، حسان، اللغة العربية: معناها ومناها، القاهرة: عالم الكتب، 2004

حسين، أحمد طاهر وعبد العزيز نبوي، الأساس في اللغة العربية، القاهرة، الصدر لخدمات الطباعة، 1978

الحولي، محمد علي، أساليب تدريس اللغة العربية، عمان: دار الفلاح، 2000

السيد، محمود أحمد، في طرائق التدريس اللغة العربية، دمشق، جامعة دمشق، 1973

شاهدين، توفيق محمد علم اللغة العام، القاهرة، مكتبة وهبة، 1980

الشنطي، محمد صالح، المهارات اللغوية، دار الأندلس، المملكة العربية السعودية، الطبعة
1996

يمين، ناصف. المعجم المفصل في الإملاء. دار الكتب. بيروت - بيروت. 1992